

قصة
قصيرة

عمود

أحداث
حقيقية

بيتنا

مُنكسر

أميرة ربيع



عمود بيتنا منكسر

عمود بيتنا منكسر

(قصة قصيرة)

بقلم: أميرة ربيع

Facebook:

<https://www.facebook.com/amira.rabie.5686>

أحمل إليكم رسائلي بسري المكتوم شريطة أن
تحفظوها، لا أريد نظرات الشفقة و لا أبحث
عن عبارات المواساة، كل ما أرغبه أن تعلموا
أنني مُتواجدة؛ أعاني ضيق حالي و صعوبة
إبتلائي و أنه بعد انتهائه بانتصاري سأقف
أمامكم على خشبة المسرح بابتسامة مُشرقة
فيتهامس بعضكم أنني نلت كل شيء و رُفعت
إلى قمة المجد بطائرة خاصة لأنكم جهلتموني
عندما كنت أتسلق بقدم دامية و جسد مُعدم
جواركم.

"إكتموا سري و لا تجهلوه"

رسالة غير مكتملة

(رسائلي)

كانت تلك هي الرسالة الأخيرة التي أكتبها في دفثري، أنوي بعدها إرتشاف ذلك الكوب المسموم الموضوع أمامكم... يداي ترتجفان بينما قلبي يخفق بسرعة لإدراكه حجم المصيبة التي هو موشك عليها.

لا تُناظروني بأعين لائمة، توقفوا عن الإشارة بأصابع الاتهام لي فما إن تقرئوا مسودة الرسائل تلك حتى تتداركوا أن الله سيغفر لي فعلتي لأنني أهرب إليه باحثة عن أمان مفقود خسرتة أنا منذ ولادتي، تنعمون به منذ نعومة أظافركم.

تُصر الحياة على معاملتي مثل أحذب نوتردام، تُقسم على أنني بشعة الداخل و الخارج و جب أن أبقى منبوذة إلى الأبد لذلك قررت وضع نهاية هذا الأبد بنفسي لأنني و إن تركته سينتشر كفيروس لعين يصيب المحيطين من خلالي.

لكن قبلها علي إخباركم أنني لست بشعة، و لم أكن يوما سيئة التصرف مثلما تُصر والدتي على إخباري دائما، كنت من تعساء الحظ الذين بدأ العقاب على ذنوبهم قبل أن يرتكبوها.

ملحوظة:

"لن تسقط رسائلي بين يديك يا أمي لأنني خبئتها جيدا مخافتك"

الرسالة الأولى (ذلك اليوم)

"طفلة تبكي في فراشها بعد سويغات من قدومها إلى العالم، ليست جائعة، لا تعاني آلام المعدة، و لا تتدلل.....حملها والدها فعم الهدوء هُنيهة ثم عاد ضجيج صرخاتها يعم الأرجاء، تعلمين مصابها يا أمي لكنك تكابرين مانحة ظهرك لها."

ذلك اليوم حينما ولدتني، بداية كابوسي و لعنتي الأبدية التي تجعلني أطرح سؤالاً على نفسي موجهاً لك؛ لماذا لم تتخلصي مني قبلها؟!
أخبرني أحد الأقرباء أنك كرهتني لحظتها؛ رفضتي حملي بين يديك حرمتي لحظاتي الأولى أن تكون مُشبعة بدفئ حنانك، صرختي في إحدى الممرضات أن أبعدها عني و كأنني مسحٌ قدم إلى الحياة بخطيئة، في حين أنني نطفتك التي أقتُطفت من رحمك أنت.

لم أصدقه حينها لكن الشك بدأ يتخلل قلبي؛ لما شعرتها في نبرة صوتك عند الحديث معي، لحظات شجارك التي تستمرين في إفتعالها، نظراتك الناقمة الموجهة نحوي دائماً.

أبدو اليوم فارغة من الداخل خالية المشاعر، أنظر لك بعين مظلمة و كأنك مجرد صورة مطروحة على الجدار فلا يتخلل وجودك إلى قلبي، عزائي الوحيد الذي يُجبرني على المكابرة نحو تلك الحقيقة هو أنني متواجده اليوم لأقف على قدمي بفضل ذلك اليوم لأنك لم

تتخلصني مني قبلها و حملت تلك الطفلة بعد إصرار الآخرين و
لومهم لك على تركها.

ربما في دخيلة قلبك أحببتني يوما ربما ذلك اليوم كنت فقط تُكابرين
كي لا تتراجعي أمام الجميع لكنك أردت حملي لتبين ملامحي و
بدء شجار كوميدي عن من أشبه أكثر أنتِ أم والدي، ما هو الاسم
المناسب لهيئتي الصغيرة و هل سيخرج اسم ثالث من العدم لأتقلده
مثلما تجري العادة مع الجميع.

ذلك الاسم سيعترض عليه المعترضون و يقيم أحدهم حجة أنه
صعب الحفظ أو يقع تحت بندد الحُرمانية لأنه اسم غريب مجهول
المصدر.

ربما في دخيلة نفسك كان ذلك القريب كاذبا و كنت فلذة كبدك التي
تمنيها... سيكون دائما للربما جانب من تفكيري نحوك حتى أسامح
نفسي على تلك المشاعر التي أكنها لك.

الرسالة الثانية (لحظاتي الأولى)

لحظاتي الأولى كيف كانت تبدو من دونك و كيف كانت لتبدو معك، ألم تتساءلي يوماً عن نوع الشعور الذي تخلفينه في داخلي يومياً بتركي لنفسى؟!!

يحتضني والذي في ساعاته القليلة التي يستطيع التواجد خلالها معنا لكن ماذا عندما لا يكون متواجداً!؛ أظن أبكى رغماً عني مهما حاولت كتم عبراتي هنالك دائماً سبب لخروجها.

أول كلمة أنطقها "بابا"، أول خطوة أخطوها كانت إليه، يأتي من عمله لأسارع راكضة نحوه هاربة من أشواكك...كنت أتمنى لو أن الحيرة تُصيبيني حينما يُخبرني أحدهم بينكما، أو أن أخاف تواجده لكثرة ما يغيب عنا بسبب عمله، كنت أتمنى أن تكون ذكرياتي الأولى المشوشة تحتوي على ابتسامات، ضحكات و قبلاتك لي.

لكنها حزينة سيئة يخرقها دائماً شجاراتك مع والدي بسببي، صُراخك في وجهي لأنني سقطت، أفسدتُ شيئاً ما أو بكيت خوفاً منك بعد إدراكي أن اللجوء لك هو أسوأ قرارٍ قد أتخذه.

يقولون "ابنك هو تلك الثمرة التي زرعتها و ستجنيها في النهاية تبعاً لما سقيتها" أسفة على إخبارك أنك حتى لم تزرعي أشواكاً بل خَلَفْتِي صحراء قاحلة تمتلك الكثير من المياه العذبة في جوفها غير قادرة على استشعار تائها لتُنقذهم من الموت.

ربما لو كنت احتضنتني، ساعدتني على اتخاذ خطوتي الأولى،
علمتني كيف أستخدم مياهي تلك لكنت أصبحت خضراء مليئة
بالخيرات للتائهين بمن فيهم أنت.

أعتذر لك لأنني لم أكن ولدا مثلما تمنيت، أعتذر لأنني لم أمتلك من
ملاحك شيئا، أعتذر لأنني غلبت كل توقعاتك لأصبح أسوء
كوابيسك التي تُجبرين على الاعتناء بها.....أسفة لأنني أنا و لست
أحدهم أو لا شيء.

ملحوظة:

"أحب نفسي بشكل أقل الآن"

الرسالة الثالثة (أول خطوة خارجا)

أربعة جدران موحشة تزداد بشاعتهم باقتراب أصوات خطواتك منهم، كيف لي أن أخرج من عرينك لأنعم براحتي!
جُل تفكيري في تلك الفترة كان يتمحور حول كيف تبدو الحياة خارجا و هل من الطبيعي أن أضطر للبكاء يوميا قبل النوم؟!.... هل الصفعات التي أتلقاها و الكدمات التي تُغطي جسدي منذ رحيل والدي بشكل دائم أمر مصرح به؟!

في مدرستنا و بمداومة إسبوعيه تُعرض لنا المعلمة فيلم سندريلا؛ تُعاملها زوجة والدها بقسوة كبيرة مُنذ وفاته، بدأتُ أشك أنني مثلها لكن الجميع يُصر على كونك والدي مُصيبين بذلك سهم أفكارى فيترزع ساقطاً إلى العدم.

ذات يوم أخطأت ارتداء قميصٍ بلا أكمام؛ مُتناسية تلك الكدمات التي هددتني بعدم الإفصاح عنها، لَاحَظَتهَا إحدى المعلمات ثم أخذتني جانبا محاولة استدراج المعلومة مني عن مصدرها، أقسم لك أنني أنكرت و حلفت كذبا لكنها رفضت تصديقي حاملة إياي لك.

كذبتِ أنتِ بكل أعضائك قائلة "لقد سَقَطت من الدرج" تَعْلُو وجهك ابتسامة مُزيفة، تُلطفين الأجواء و تتعاملين بطريقة ودودة معها بينما تضغطين بقبضة يدك على كتفي.

تعلّمتُ يومها أن الكذب مَنجاة لذلك قررت أنه و في أحد الأيام سأرُد لكِ تلك القَبضة بينما أكذب لأخُذ بثأري من تصرفاتك نحوي.

نلت من الكدمات أضعافًا بعدها و كأنني المُلامة على سرك الذي يأبى أن يبقى سرًا.

عاد بعدها والدي من رحلة عمله الشاقة ليجدني طريحة الفراش لا أقوى على حمل قدمي للجلوس حتى، و كما تجري العادة أن أكذب كَررتُ ذات القسم؛ أنه ليس لكِ يدٌ في الموضوع و أنني تشاجرتُ مع بعض الأطفال مثلما لقنتني، لا أجيد إطاعة أوامرك لكنني كنت خائفة من وَحش غضبك الذي سينقلب علي بعدها.

لَمَح والدي الخَوف في عيناي فاحتضنني ثم ذهب ليذيقك من نفس ذات الكأس غير أنه لم يؤذ جسدك مكتفيا بروحك، هجرك عدة أيام بعدها لا يفعل شيئاً سوى الاعتناء بي.

تصالحتمُا في نهاية المطاف قبل رحيله لأعود أنا منبوذة في الزاوية منتظرة تلك العَلقة لأن عيناي أفصحتا عن خوف مَكْتوم. أول خطوة خارجا كانت غريبة ممزوجة بعلامات تَعجب أن العالم جميل يشع بالاهتمام و المحبة فلما لم أنل جانبا منه معك؟!!

ملحوظة:

"غضبي و سخطي نحوك بدأ يتنامى و لا أحسبني قادرة على احتوائه أكثر"

الرسالة الرابعة

(عيد الأم)

مَراسِمُ البهجة و الاحتفال تَعَمُّ الأرجاء، يتسابق الجميع من أجل إظهار معالم الحب لأمهاتهم... لكن لماذا؟!، ألسنَ قُساة القلب يَنهَرُنهُنَّ لآتفه الأسباب و يجبرنهن على القيام بالمهام المنزلية ليل نهار مع وابلٍ من الشَتائم يَخترقُ المَسامع.

مَنطق عيد الأم كان غَرِيبًا مُبهما بالنسبة لي، أنظر إلى المُحيط فأجد الجميع يَتسابقون لإحضار الهدية الأعظم من أجل ذلك الشخص المدعو أم بينما أنا أجهل السبب الذي يُجبرني على ممارسة مثل تلك الطقوس؛ ليس لأنني أكرهك بل لأنني لا أجد سببًا أحبك لأجله مثلهم.

أُجبر في نهاية المطاف بعد العديد و العديد من علامات التعجب على إحضار هدية لك لأنك لازلتِ أُمي، تهدأ الأطوار بعدها عدة أيام ثم تعود لتزداد حدة من جديد.

ذات يوم سألت إحدى صديقاتي "كيف ترين والدتك" أخذت بُرهة لتجيبني بأعين حاملة "تبدو أُمي في نظري ملاكًا هبط من السماء للاعتناء بنا و تقديم التضحية الدائمة من أجل سعادتنا" عادت إلى صمتها مجددًا مكملة بعد ذلك بابتسامة حاملة "تعجز كلماتي دائمًا عن وصفها".

أريد إعلامك يا أُمي أنه في تلك اللحظة كانت تتمثل أمامي صورتك في الاتجاه المُعاكس ليس كشيطان أو وحش بشع بل

كشيء مُبهم عديم الملامح مَجْهول من كل النواحي و لا يمتلك
القدرة على التَّشكُّل في هيئة ثابتة مهما جَاهد في المحاولات.

عيد الأم لم يكن في نظري يوماً عيدًا لكنني أُجبرت على اعتباره
كذلك حتى لا أنال من نظرات الشفقة نَصيب، تظاهرت بالقوة دائما
كي يحبني الناس خارجا لأجلي لا لأنهم مُشفقين؛ لكن دائما ما
كانت تبوء كل محاولات الصمود تلك بالفشل في هذا اليوم فيكون
لوسادتي نَصيبٌ من دموع حشرات كتماني كل تلك الأيام و مع
ذلك لا تقلقي فلزلت بخير أستطيع الصمود أمامك.

ملحوظة:

"حَلُمْتُ لو أن دموعي تلك عبثية قادمة من الخارج و شكواي
موجهة إليك طلبا في تهويده مُنتهية بالنوم على فَخْذك"

الرسالة الخامسة

(تشقق العمود)

كَبُرَتْ تِلْكَ الْفَتَاةُ الصَّغِيرَةُ يَا أُمِّي فَضَاقَ صَدْرُهَا حَتَّى مَا عَادَ بِإِمْكَانِهِ الصَّمُودَ أَكْثَرَ؛ صَارَ يَشْكُو وَ يَشْكُو لَعْلَ فِي بَعْضِ الْكَلِمَاتِ الْقَلِيلِ مِنَ الرَّاحَةِ.

تَحَوَّلَ الصَّمْتُ إِلَى أَضْعَفِ الْحُجْجِ الَّتِي لَا أَحْبِذُ اللُّجُوءَ إِلَيْهَا وَ مَا وَدِدْتُ ذَلِكَ يَوْمًا، أَصْبَحْتَ شِجَارَاتُكَ كَثِيرَةً مَعَ وَالِدِي وَ إِزْدَادَ اللُّومِ لِيَقَعَ عَلَيَّ عَاتِقِي.... نَهَرْتَنِي فَتَضَاعَفَ عِنَادِي وَ لَمْ أَكُنْ حِينَهَا بِحَاجَةٍ لِأَكْثَرَ مِنْ عِنَاقِ دَافِيٍّ سَيَحُلُّ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى أَنَّنِي كُنْتُ سَأَسَامِحُكَ دُونَ عِنَاءِ مِنْكَ.

تَبَرَّءَ مِنْكَ إِخْوَتُكَ وَ حَسِبَكَ وَالِدِي مِنَ الْمَجَانِينِ بَيْنَمَا نَبَذْتُكَ أَنَا فَبَقِيْتُ فِي الزَّاوِيَةِ وَحِيدَةً لِيُرِدَ لَكَ جِزَاءٌ بَسِيطٌ مِمَّا عَانَيْتَهُ وَ لِيَتَكَ تَعْتَرِفِينَ بِذَلِكَ؛ لَمْ يَكُنْ عِنَادِي إِلَّا مِتْوَارِثًا مِنْكَ.

تَشَقَّقَ عَمُودُ بَيْتِنَا فَاِمْتَلَأَ عَقْلُنَا بِالْأَتْرِبَةِ، أَصْبَحَ الْأَمَلُ مَعْدُومًا بِنِجَاةِ أَسْرَتِنَا كَعَائِلَةٍ مَتَمَاسِكَةٍ، قَدْ رَاهَنَ الْجَمِيعُ عَلَيَّ خَسَارَتِنَا بَعْضُنَا إِنْ لَمْ نَحُلْ مَعْضَلَتَكَ..... بَعْدَ فِشْلِ الْعَدِيدِ مِنَ الْمَحَاوَلَاتِ جَلَسَ وَالِدِي مَخْبِرًا إِيَّايَ أَنَّ مَلَامِحِي تَذَكَّرُكَ بِشَخْصٍ طَالَمَا كَرِهْتَهُ.

حَدَّثْتَنِي إِحْدَى الْجَارَاتِ أَنَّهُ وَ قَبْلَ قَدُومِي نَشِبَتْ الْكَثِيرُ مِنَ الْخِلَافَاتِ بَيْنَكَ وَ بَيْنَ عَمَّتِي فَتَمَنَيْتُ لَوْ أَنَّنِي وُلِدَ يَرُدُّ الصَّفْعَاتِ عَنْكَ إِلَّا أَنَّ الْقَدْرَ شَاءَ وَجُودِي وَ حَكْمَ عَلِيٍّ أَنْ أُشَبِّهَهَا فَبِتُّ لِعِنَّتِكَ الْأَبْدِيَةَ الَّتِي تُذَكَّرُكَ بِكُلِّ سَيِّئٍ مَضَى.

جَارَةٌ أُخْرَى مَنَحْتَنَا الْمَشُورَةَ بِالذَّهَابِ إِلَى أَحَدِ شِيُوخِ عِلْمِهِ يَنْجِحُ فِي
إِسْقَاطِ غِشَاءِ الْعَتَمَةِ عَنِ قَلْبِكَ، أَعْلَمُ أَنَّهُ لَا مَنَظِقَ مُتَوَاجِدٍ فِي فِعْلَتِنَا
تِلْكَ لَكِن تَصْرِفَاتِكَ الْعِدَائِيَّةَ نَحُونَا وَ إِتْجَاهَ كُلِّ مَا هُوَ صَالِحٌ هِيَ مَا
دَفَعْتَنَا لِلْإِقْدَامِ عَلَى ذَلِكَ.

فِي نَهَائِيَةِ الْمَطَافِ إِسْتَسْلَمَ وَالَّذِي تَارَكَ إِيَّايَ وَحْدِي فِي مُوَاجَهَتِكَ
مَرَّةً أُخْرَى، مَا كَانَ بِالْيَدِ حَيْلَةٌ سِوَى الْإِسْتِسْلَامِ وَ الْبَقَاءِ سَاكِنَةً أَمَامَ
تَعْنَتِكَ مَعِي.

ملحوظة:

"و إزداد تشقق العمود حتى أوشك على الإنكسار!"

الرسالة السادسة (إنكسر العمود)

لم يكن إنكساره إلا على جسدي، فوق أحلامي التي سَعَيْتَها مُحطماً
بذلك آخر سُبُلِي للعيش حياة كريمة دوناً عنك.

تلك المَرَحَلَة يا أُمِّي كانت الأمل الأخير لتحديد أي المشاعر أكنها؛
أوجب علي محاولة إكتشاف الملاك داخلك أم أن وَحْشَكَ سينتصر،
لم أنتظر منك حينها حتى عناقاً أو كَلِمَاتٍ تحفيزية لكنني توقعت
هُدنة تَمُنِحني هدوءً و لو كان مؤقتاً.

بينما يُكرس الأباء جُل طاقاتهم في المرحلة الثانوية حتى يزيحوا
عن الأبناء بعض الضُغُوطات تَفَنَّتِ أنتِ في إسقاطي إلى الهاوية
بكلماتك الجارحة و شجاراتك المُفتعلة، إصرارك الدائم على
تعطيلي عن دروسي.

لا أعلم كيف أخبرك بذلك دون جرح مشاعرك لكنني كرهتك وقتها
تَمَنيت في كل يوم و كل ساعة أن أستيقظ صباحاً فأجدك قد إختفيتِ
و كأنك كابوس انتهى.

كنت أنا ضحيتك الظاهرة و والدي ضحيتك المواربة فسقط أولاً
بعد أن أصابه الإجهاد من كثرة التفكير، لازلت أذكر دموعي
الممزوجة بمشاعر الحُزن و الخوف أن يختفي درعي الوحيد في
وجهك و كيف سأُكْمَل حياتي إن قرر تركي.

أخبرنا طبيبه لحظتها أن أمر الاستيقاظ راجع إلى مدى تمسكه بالحياة؛ جال في خاطري لحظتها أنه إن أحبني بصدق فلن يسلمني لك و سيظل متمسكا بالتواجد حائلا بيننا.

عاد بعدها يُنير منزلنا لكنه أصبح هادئاً غير مبال بتواجدك، لا يُظهر أي رد فعل نحو تصرفاتك إلى أن حلت القشة التي قسمت ظهر البعير حينما كُلت مسيرتي التعليمية بالفشل.

لا أذكر أنني رأيت والدي منكسرا بقدر ما رأيته ذلك اليوم حينما جثى على رُكبتيه بيكيني نادماً تركه لي بين مُعاناتي وحدي، من كان أجدر بالاعتذار لحظتها هو أنت لكنك رمقتني بنظرات الشماتة و الأنا صدّقت حينما لقبتك بالفاشلة.

لم أتمالك نفسي فصرخت بهيستيريا لألقي كل ما وقع أمامي احتضنني ليسقط معي بينما يهمس بعبارات الأسف.

لم أكن فاشلة يا أمي لو أنك كلفت نفسك عناء الذهاب إلى مدرستي أو فتح دفاتري لاكتشف المراكز الأولى التي كُنت أنولها و قرأت عبارات الشكر فوق كُتبي.

ملحوظة:

"لم أكن فاشلة يوماً يا أمي لكنني بناءً ناجح قرر صاحبه هدمه في اللحظات الأخيرة حتى تحول إلى ركام قديم ينفر منه الناجحون."

الرسالة السابعة (محاولة إصلاح)

أكثُب اليوم لكِ بدموع فشل كل محاولات الإصلاح يا أمي،
سويغات جامعتي القليلة التي أحاول تقبّلها لم تعد كافية للخلاص
منك أو من شرور إخوتك.

أعلم أنني أتأخر كثيرًا في العودة إلى المنزل و أن الأمر يستدعي
غضبك لكنه لا يستدعي غضب خالتي، التي و ذات يوم حينما
شكونا لها ضيقنا من سوء طباعك رفعت يدها بجوار إخوتك
مُستسلِمة لترفض كل محاولات إصلاحك معنا و كأنك لا تعنيها.

تعلمين جيدا يا أمي أن منزلنا لم يعد مكانا أمانا لنفسي التي تمّقت
كل حبة ترابٍ تدخله منذ إنكسار آخر أحلامي، سُمك الذي تبخينه
في وجهي كل صباح لم يعد يُحتمل لذلك و حتى تتوقفي عنه
ستكون طُرقات الجامعة مع بعض الأصدقاء هما مهربي منك.

هل أخبرك بسري الصغير؟!، فكرت للكثير من المرات أن أركض
خارجا فلا أعود لكنني سرعان ما أرجع عن الفكرة خائفة من
وَحشة الطُرقات لأرضى بإبتلائي و أن الله ذات يوم سيعوضني.

أتعرفين أنني أستيقظ كل يوم بينما أحاول مَحو مشاعر السخط التي
أكنها لك و مع ذلك أذهب إلى و سادتي مساءً بينما دموع حسراتي
تنسكب مثل نهر جار على و سادتي بعد فشل محاولتي.

أخوض إختباراتي الجامعية للمرة الأولى لم يكفك تَمزق طموحاتي
في الثانوية فأتيت لتمزيق أوراق الجامعية كي لا أدرس، أجهل لما
تتم معاملتي على أنني عدوة؛ ألسنت أعظم انتصاراتك؟! أليس من

المفترض أن يكون ناجحي هو نجاحك؟!.....ألن تُرافقيني سهر
الليالي حتى تطمئني أن النوم لن يغلبني بينما أنكب في كتبتي و إذا
ما حدث ترأفين لحالتي فتقتربين مني واضعة قُبلة على جبينني تدفئة
لقلبي رافعة الغطاء على جسدي؟!!

إنني و مع الوقت أكتشف ألا سند لي و أن قاع الوحدة و الوحشة
هو رفيقي الأوحده فما دونك يا أمي دون.

ملحوظة:

"أذكرين و عدي برد دين الكذب؟!؛ كانت هذه المرحلة هي الأنسبُ
له"

الرسالة الثامنة

(فُتات الخارج)

فُتات الشارع باردة لا تُغنيني عنك و عن عناقك لكنها تعمل كسَد
خانة لملئ ذلك الفراغ المُدقع بدلا من أن تنخر وحدته في أحشائي.

تُدرك كل خلية في جسدي أن ما أفعله خاطئ و لا يتناسب مع
معايير عائلتنا و لا مبرر له، لكن الشيطان دخل مدخله منه فلم أجد
بدا سوى بالبحث عن بديل لما حرمتني مع أحدهم.

ليس بالشخص السيء في نظري يكفيني أنه يستمع لي، يحتوي
أحزاني و يبذل قصارى جهده لمداواة جروحي التي فتحتها...كنت
أتمنى لو تبدلت الأدوار.

أخبرتني أنني فتاة سيئة قبيحة لا أمتلك من الجمال داخله أو
خارجه، كبرتُ و أنا مُزعزعة، فاقدة للثقة أرى نظرات المحبة
شفقة، أحسب الإعجاب عطف و الصداقة من باب الطبوبة.

حتى إقترب مني هو، سحب يدي من قاع المحيط ليصعد بي إلى
سطحه، أخبرني أن المنظر من فوقه أكثر جمالا، لم أصدقه في
بادئ الأمر لكنك دفعت بي نحو تصديقه.

وَدَدتُك أن تعلمي أن هذا السر هو أحد مئات الأسرار التي خَبئتها
عنيك و ما تمنيت أن أفعل، كنت أرجوك ناصحة داعمة أشارك
معك تجاربي و إن كانت خاطئة عَدِلتُ عنها.

رَغبت لو أنني سَلكت مثل نفس ذات الطريق بجوارك فَكُسرت في
نهايته؛ أن أعود لك دون خوف أو قلق أن تصبح حياتي في خطر

كما باتت مشاعري، تمنيت لو كنت حبيبتي الأولى و ملاذي الأخير
لكن القدر لم يأذن بذلك.

أخبرك يا أمي أنني جميلة مثلما كنت دائماً، أمتلك لون عيناك و إن
أنكرته، ملامح والدي التي جعلتك تهيمن عشقا به، صوتي خافت
رقيق، طبعي هادئ مُنكسر لكنه مرغوب، لست منبوذة مثلما لم
أكن يوماً، أجد الطهي و مواهبي المتنامية لا حصر لها و رغم كل
المعاناة التي ألقاها منك إلا أن ترتيبتي مرتفع دائماً حتى في دراستي
الجامعية.

ملحوظة:

"كنت فقط بحاجة لشخص يدرك قيمتي!"

الرسالة التاسعة

(انكسر العمود)

عمود بيتنا مُنكسر يَأبى السقوط إلا على كتفي و كأن المنزل خال
من كل شيء للتسلية عدى ألامى، عمود بيتنا لم يكن يوماً غير
فُتات لا تُؤدى غرضها الموجب لذلك أكره أن ألقبه باسمه.

كنتِ عمود مَنزلنا يا أمى، وَجب عليكِ حماية باقى جُدراننا حتى لا
تسقط فوقنا فتقودنا إلى الهلاك لكنك بدلا من ذلك تَشَققت و ضَعُفتِ
حتى انكسرتِ و لم يكن انكسارك إلا على جسدي أنا؛ مُحدثة أقصى
أنواع الضرر فوق كتفائي و أقلها على الباقين....لأنني عدوتك
الوحيدة المقصودة بذلك الانكسار.

اليوم يشكو والدي سوء حالته الصحية جراء ارتفاع ضغطه و
تشكو أختي حياة أُسرية غير مُستقرة، رغم أنك حاولت بشتى
الطرق عزلها عني مانحة إياها كل ما حرمتني لأنني أحذب
نوتردام الواجب إعدامه.

بدأت أتيقن أنني عبئٌ وَجب اخفائه حتى تعود حياتكم إلى الصورة
الطبيعية التي سَعَيْتُ باستماته أن نكونها.

أخبرك اليوم أنكم ستكُونونها دوني لأنني قررت الاستسلام و جعل
الجدار يتهاوى فوق جسدي مُهشماً بفعلته كل عظامي محدثا بذلك
آلام جسدية و محرراً ألامى النفسية.

أعلم أنه و بعد وفاتي سيتراقص قلبك فرحًا، لكن أرجوه أن يزرف
بعض الدموع شفقةً على حالي و رافةً بمحاولاتي الجادة أن أكون
كافية لك.

لا تتسابق في نشر الشائعاتِ عني بأنني كنت فتاة عاقبة أو غير
مؤمنة -حاشا لله-، حسبي أنني أستسمحه المغفرة على فعلتي و
ألتمس عنده حياة أفضل تعويضا عن أعوام المعاناة التي قاسيتها
بين أشواكك.

وداعا أمي عمود بيتنا المنكسر، لا أظن فيك إلا أن تتحسن طباعك
بعدي و لا أرى فيك إلا الصلاح، فقط عانقي أبي و أخبريه أنني
أحببته و قبلي جبين أختي بعد أن تخبريها أنني دائما ما كنت أحبها
و أسعد كونها مُحبيُّك لا تُعاني مثلي.

.....

حتى الانتحار فشلت به!

يبدو أنني سأرفاقك عدة أعوام آخر بعد أن فقدت شجاعتي، لازلت
جبانة كما أنا، لم يتغير شيء.

ملحوظة:

"كانت تلك بقايا الرسالة غير المُكتملة، تجاهلي أنني كتبتها"

الرسالة العاشرة (أصلحت العمود)

بَعْدُ مُعَانَاةً فِي مَحَاوِلَةِ إِقْنَاعِ وَالِدِي أَنْ الدَّجْلَ وَ البَحْثَ خَلْفَ
الخُرَافَاتِ لَمْ يَكُنْ حَلًّا إِقْتَنَعَ أَخِيرًا فِي تَخْصِيصِ طَبِيبِ نَفْسِي لَكَ،
أَذْكَرُ لَوْمَكَ لَنَا وَ عِتَابَكَ لِي بِشَكْلِ خَاصٍ أَنْي السَّبَبُ فِي كُلِّ مَا
يَحْدُثُ.

لَمْ أَرَكَ مَجْنُونَةً يَوْمًا وَ لَيْسَتْ مُعَانَاتُكَ بِفَقْدَانِ الْعَقْلِ؛ فَمَا هِيَ إِلَّا
انْعِكَاسٌ لجزءٍ مِنْ ذِكْرِيَاتِكَ الْمَشْوَهَةِ، كُنْتُ أَصْرُ بِشَكْلِ قَاطِعٍ عَلَى
مُتَابَعَةِ حَالَتِكَ بِنَفْسِي كِي نَتَمَثَّلُ لِلشِّفَاءِ مَعًا.

أَخْبَرْتَنِي طَبِيبَتِكَ فِي الْجَلْسَةِ الثَّانِيَةِ أَنَّهُ هُنَاكَ جِزءٌ مِمَّا بَدَاخَلَكَ يَرِيقُ
لِي وَ يَحَاوِلُ احْتِضَانِي لَكِنِ الْوَحْشَ الْأَكْبَرَ يَحْبِسُهُ فِي إِحْدَى زَوَايَا
قَلْبِكَ الْمُظْلَمَةِ.

كُنْتُ ضَحِيَّةً لِسُوءِ التَّرْبِيَةِ يَا أُمِّي؛ طِفْلَةٌ صَغِيرَةٌ مِنْ زَوْجَةٍ ثَانِيَةِ
تَقْبَعُ بَيْنَ رِجَالٍ وَ نِسَاءٍ أَشْدَاءٍ يَكْبُرُونَهَا بِجِيلٍ كَامِلٍ نَشِئُوا عَلَى إِثَارَةِ
إِعْجَابِ كُلِّ النَّاسِ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ، أَوْ أَمْرِكَ مَجَابَةً لَكِنِ بِشُرُوطِ مُحْكَمَةٍ.

دَائِمًا مَا بَدَوْتُ فَاتِنَةً ابْنَةَ ذَلِكَ الرَّجُلِ الْمُهِمِّ الَّذِي تَضَجُّ الْمَجَالِسُ
لِحُضُورِهِ، هَ لَكِنَّا فِي النِّهَايَةِ وَ مِنْ الدَّخْلِ أَنْثَى ضَعِيفَةٌ وَجِبَ كَسْرُ
جَنَاحِهَا لِأَنَّهَا عَيْبٌ.

نَجُوتِ مِنْ بَرَاثِنِ كُونِكَ عَيْبًا لِتَنْتَقِلِي إِلَى أَحْكَامِ وَجُوبِ إِنْجَابِ
الذِّكُورِ إِثْبَاتًا لِدَاتِكَ بَيْنَ الْمُحِيطِينَ، حَضَرْتُ أَنَا لِأَصْبَحَ الصَّخْرَةَ
الَّتِي تَتَحَطَّمُ عَلَيْهَا أَحْلَامُكَ وَ تَتَكَسَّرُ رَأْسُكَ مَجْدِدًا بَيْنَهُمْ فَمَا كَانَ
نَظْرَكَ إِلَيَّ إِلَّا وَ تَرَاءَى أَمَامَكَ ضَعْفَكَ.

كُنَّا نُعَانِي سُوِيَةَ يَا أُمِّي وَ قَدْ تَمَاتْلُنَا لِلشِّفَاءِ مَعًا، لَا أَعْلَمُ هَلْ وَجِبَ عَلَيَّ كَرِهًا فِيمَا مَضَى؟!؛ لَكِنِّي مُتَيْقِنَةٌ أَنَّنِي قَدْ سَامَحْتِكَ وَ عَفَوْتُ عَنِ مَاضِي السَّيِّئِ حَتَّى أَتَحَرَّرَ مِنْ قِيُودِ الْبُكَاءِ عَلَى الْأَطْلَالِ.
كُنْتُ أُرِيدُ عِنَاقًا وَ لِكثْرَةِ رَغْبَتِي وَ أَنَانِيَّتِي لَمْ أَلْحِظْ أَنَّكَ أَشَدُّ إِحْتِيَاجًا لَهُ مِنِّي.

ملحوظة:

"لا تُلقِي بِالْأَبْرَسَاتِي الْغَيْرِ مَكْتَمَلَةً إِنْ وَقَعَتْ بَيْنَ يَدَيْكَ عَنِ طَرِيقِ الْخَطِّ"

ما بعد النهاية (الرسالة الوحيدة المقروءة)

كُللت حياتي و أخيرا بانتصار، تحطمت أحلامي في مداواة
المرضى فقدر لي أن أكون مُدرسة جامعية تداوي عقول الشباب.

بكيث يوم تقرر تعييني كمدرس مساعد، و حينما حَضَرْتُ
الدكتوراه و لحظة وقوفي لأول مرة أمام مدرج مهول بالطلاب
يهابون وجودي -أشكرك على تواجدك لاحتضاني بعدها-.

أذكر أنني انتظرتُ لحظة صمتهم حتى أقطعها بجملة "أصلحت
عمود بيتنا المنكسر فكوفنت بوقوفي هنا أمامكم" بدت الجملة مبهمة
لهم لكنها تحمل بين طياتها شتى معاني الألم و الصعوبات التي
تخطيتها وحدي.

و لأول مرة وجدتك تقفين في نهاية الطريق بانتظاري يا أمي، لذلك
حينما وصلت قررت أن أزيح عن عاتقك كل مشاعر لوم الذات
التي تحتفظين بها داخلك و تبكينها كل مساء؛ لأخبرك في نهاية
رسائلي التي جمعتها على مدار أعوامي المتفاوتة أنني أحبك و لم
يكن كل ما مضى إلا نوبات غَضب مُبعثرة ليس لها وجود.

تسائلتي دائما عن كيف كنت أراك قبلها و أخبرك أنني كنت أحسبك
عمود بيتنا المنكسر لكنه ما عاد منكسرا بعد الآن حتى أنه أصبح
أشد صلابة يمنحني قوتي حينما تزداد الرياح.

ملحوظه:

"أرجو أن أنال بعد كل جملة تقرئينها قبلة و عناق"

تمت

تمت بدموع كاتبتها و أوجاع صاحبها فلم يكن ما
بين يديكم إلا قصة واقعية أُخِصت أعوامها لتُصاغ
في هيئة بعض الكلمات المُقتبسة التي ليس لها قيمة
أمام حقيقة ما حدث، و لا تزال النهاية التي تحيا
بيننا مفتوحة لم تُكلل بانتصار بعد لكنني على يقين
أنه قادم في الطريق.

"وعدتُ صاحبة العالم أن أكتُم سرها عند إفصاحه"

أميرة ربيع